بفكرة تنظيمية مطلقة عن "حقيقة تقبع في نهاية المطاف البحثي."[١٩] كان ديوي - البطل دون أدنى شكّ في سرد رورتي - كان على الرغم من ذلك شديد التمسّك بالحقيقة الوضعية عندما ترأس محمكةً أمريكية غير رسمية للتحقيق في اتهامات التجسس الباطلة التي وُجهت ضدّ تروتسكي أثناء فترة نفيه على يد البوليس السرّي لستالين.[٢٠] و يقدم ويليام جيمس ربّما أكثر الأمثلة سطوعاً في معارضته الشديدة لتورّط الولايات المتحدة الأمريكية في "حرب تحرير" أخرى، وتحديداً حملتها في الفيلبين بين عامي ١٩١٠ و ١٩١١ والتي يمكن أن يُنظر إليها الآن كنموذج يقتدى به عن مغامرات عسكرية لاحقة تنكرت ببلاغة الغاية الأخلاقية العليا.[٢١] باختصار، ثمّة عالم من الإختلاف - بالمعنى الفلسفي و السياسي الأخلاقي - بين الموقف الذي تبنّاه أولئك المروّجون الأوائل للنظرة البراغماتية وبين الإستخدام الحالي (مابعد الحداثي) لأفكارهم كحوار يوجه الضربة القاضية ضدّ كلّ أشكال الفكر الإقتحامي النقدي أو المنشقّ. وهذا الإختلاف عائد إلى الإنعطافة - وهذا ظاهر بوضوح لدى رورتي و فيش - باتجاه أفكار مابعد حداثية عن اللغة، الخطاب، والتمثيل التي تنكر عادةً استحالة الإقتراب من الواقع أو الحقيقة إلا عبر أنظمة إشارية تجعل من ذاك الإقتراب أمراً مستحيلاً. إذا كان على المرء أن يقبل بكلّ هذا، فإنّ الطريق سيكون بالطبع مفتوحاً أمام البراغماتيين الجدد ليخرجوا باستنتاجهم المألوف: الحقيقة هي **دائماً وللتوّ** ما يُعتبر في ذاته ذي معنىً داخل "مجتمع تأويلي" معيّن (فيش) أو هي، في مرحلة من المراحل، "حوار النوع البشري" الثقافي الجاري أبداً (رورتي). وهكذا، سيبدو مستحيلاً، جملةً وتفصيلاً، أن يكون لأيّ حوار معارض يستند على أرضيات مبدئية، واقعية وتاريخية أو اخلاقية، أيّ وزنٍ أو معنىً بالنسبة لأعضاء هذا المجتمع المقصود.

يبدو لي أنّ النظرية الأدبية ستواجه عبئاً كبيراً عندما تأتي لتقيّم مدى التأثير الضارّ الذي ترافق مع هذه الأفكار النسبوية المتطرّفة والدّارجة. ماكان